

الوطنية في ميزان الإسلام

(حقيقتها وتصحيح مفهومها)

أ. عبدالسلام الجيلاني السنوسي

كلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الأسمرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي بعث في الأمين رسولا منهم يتلوا عليهم آيته ويعلمهم الكتابة والحكمة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد.

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن شرفها على غيرها من الأمم ببعث نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - منهم، وفضلها بأن جعلها أمة وسطا، وأعلا مكانتها بشهادتها يوم القيمة، ووصفها بالخيرية إذ أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، ووعدها بالنصر والتمكين، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).¹

والناظر في التاريخ الإسلامي يجده حافلا بالانتصارات، والحضارات التي أبهرت العالم، اتسمت بضوابط وأصول حفظتها، وتميزت بمرونتها وثبوتها وترابطهم، جعل الغرب يهتم بدراستها، فدفعوا الغالي والنفيس في بحث عن كنهها للقضاء عليها، وما تركوا سبيلا إلا سلكوه، حملات ثقافية ثم عسكرية، فعلموا أنه لا سبيل لصدها إلا بنشر ثقافتهم الغربية داخل البلدان الإسلامية، كونها أكثر تأثيرا وأقل جهدا، وظهرت أفكار وحركات لم يعرفها الإسلام، بل مخالفة له، من قومية، والوطنية، والديمقراطية، والاشتراكية وغيرها، فتأثرت المجتمعات الإسلامية بها، مما دفع العلماء والمفكرين إلى دراستها، وموازنتها بمصادر الإسلام، حيث اختلفت وجهات المفكرين، بين مغال ومتوسط ومانع لها.

ومن المفاهيم التي كانت دخيلة على البيئة الإسلامية مفهوم (الوطنية)، فكان اختيار الباحث دراسة مفهومها وحقيقتها وميزانها في الشرع، فكان عنوان البحث: (الوطنية في ميزان الإسلام) (حقيقتها وتصحيح مفهومها).

1 سورة النور 55.

وقد كان لهذا الموضوع دراسات مختلفة، فمنهم من أفردته بالدراسة، ومنهم من جعله ضمن مواضيع الافكار المعاصرة، وكثرة الدراسات البحثية من مجلات ودوريات لهذا الموضوع، نذكر منها.

1_ من الكتب، مفهوم الوطنية في ضوء الكتاب المبين والسنة النبوية، إعداد، د. عبد الرحمن بن جميل بن عبد الرحمن قصاص، أستاذ كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أمّ القرى، سنة 2009.

2_ المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، تأليف: غالب بن علي عواجي.

3_ إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، إعداد مجموعة من الباحث.

4_ المجلات والمؤتمرات، فقه المواطنة في الفكر الإسلامي، الملتقى السادس، سنة 2013، جامعة الحاج لخضر جامعة باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية. وكانت الدراسة بمنهجية متنوعة لطبيعة البحث، ولذا وجد في الدراسة أغلب المنهاج منها التحليل والاستقراء والمقارن والنقد والتاريخ (التكاملي).

واشتملت الدراسة على مجموعة من الإشكاليات التي علاجها البحث، ومنها.

1_ مفهوم الوطنية من منظور إسلامي.

2_ الحقيقة والنشأة لفكرة والوطنية.

3_ الأسس والدعائم التي قامت عليها الوطنية في المجتمع الإسلامي.

4_ الأسباب والوسائل التي كان لها الأثر في ادخال فكرة الوطنية.

5_ الوطنية وميزانها في الشريعة الإسلامية.

6_ مذاهب المفكرين الإسلاميين في الوطنية.

7_ آثار الوطنية وسبل علاج هذا الآثار.

وقد قسم الباحث بحثه إلى مقدمة تناول فيها أهمية الموضوع والمنهجية المتبعة والدراسات السابقة، ومجموعة من الإشكاليات، وثلاثة مباحث وكل مبحث مطلبين، وخاتمة وأهم النتائج، وجاءت الخطة على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم الوطنية، ونشأتها، وحقيقتها.

المطلب الأول: مفهوم مصطلح الوطنية.

المطلب الآخر: حقيقة الوطنية ونشأتها.

الفرع الأول: مفهوم الوطنية.

أولاً: مفهوم مصطلح الوطنية في اللغة يختلف معنى الوطنية عند اللغويين على حسب الاشتقاق، وكلها ترجع إلى مكان الإقامة والبلد.

(وطن) الواو والطاء والنون: كلمة صحيحة. فالوطن: محل الإنسان. وأوطان الغنم: مراتبها وأوطنت الأرض: اتخذتها وطناً. والميطان: الغاية.¹

قال الأزهري²: الوطن موطن الإنسان ومحلّه. قال: وأوطان الغنم مراتبها التي تأوي إليها. ويقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها، قال رؤبة:

حتى رأى أهل العراق أنني ... أوطنت أرضاً لم تكن من وطني

"فكل مكان قام به الإنسان لأمر فهو موطن له،...".³

ثانياً: الوطنية عند الاصطلاحيين: الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه.

وطن الإقامة: موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوماً أو أكثر من غير أن يتخذ مسكناً.⁴

ثالثاً: لقد وردت مادة (وطن) في كتاب الله تبارك وتعالى مرة واحدة فقط، قوله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ).⁵

1 ينظر معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 6/ 91، وينظر المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، 2/ 1042.

2 محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده الأزهري، ومن كتبه غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، وتهذيب اللغة، وتفسير القرآن، ينظر طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، 2/ 65.

3 تهذيب اللغة، الأزهري، 4/ 424.

4 ينظر التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، 253.

5 سورة التوبة 25.

قال ابن عطية¹: "والموطن موضع الإقامة أو الحلول لأنه أول الإقامة، و_الموطن_ المشار إليها بدر والخندق والنضير وقريظة، ولم يصرف مواطن لأنه جمع ونهاية جمع".²

قال ابن عاشور³: "ومواطن: جمع موطن، والموطن أصله مكان التوطن، أي الإقامة. ويطلق على مقام الحرب وموقفها، أي نصركم في مواقع حروب كثيرة".⁴

وورد في القرآن الكريم لفظ الوطنية من حيث المعنى على أنه المكان الذي يعيش فيه ويكن له الانتماء والدفاع عنه، حيث نجد أن القرآن قص علينا قصص بعض الأنبياء _عليهم السلام_ والأولياء والصالحين، وهم يهاجرون من أوطانهم ومكان إقامتهم بأمر الله مكرهين.

كما ورد في القرآن ألفاظ المرادفة للوطن من حيث الدلالة منها: لفظ الديار، والبلد، والأرض، والمدينة، والقرية، والمسكن، ومصر، ومكة على سبب نزول بعض الآيات.

رابعاً: لم يرد في السنة الصحيحة لفظ المواطنة ولا اشتقاقها إلا بالمعنى في الحديث الصحيح: عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزرة فقال: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت).⁵ واستدل بهذا الحديث على تفضيل مكة على المدينة؛ لأن الأمانة إنما تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها، وهذا قول الجمهور.⁶

خامساً: في منظور إسلامي: قال صاحب الظلال⁷: "إن راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته. ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه وأرضه التي يدفع عنها

1 عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، مولده سنة ثمانين وأربعمئة ومات في خامس عشر من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسائة، من أشهر ولغاته، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ينظر لطبقات المفسرين للسيوطي، 50.

2 المحرر الوجيز 19/3.

3 محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير)، ينظر الأعلام للزركلي، 6/ 174.

4 التحرير والتنوير لابن عاشور 10/ 155.

5 أخرجه الترمذي في سننه، باب فضل مكة، ر 3925، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح، 722/5.

6 ينظر شرح الموطأ، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، 17/37.

7 سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسبوط، من أشهر مؤلفاته، (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، ينظر لأعلام للزركلي، 3/ 148.

هي (دار الإسلام) التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجاً للحياة. وكل تصور آخر للوطن هو تصور غير إسلامي، تتضح به الجاهليات، ولا يعرفه الإسلام".¹

سادساً: الوطنية في قاموس المصطلحات السياسية " بأنها: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي، وبين مجتمع سياسي (الدولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون".²

وعرف بأنه: "الشعور بالانتماء للبلد الذي نعيش فيه، وبذل الجهد في جلب النفع له ودرء الضر عنه".³ وقيل: "بمعنى الانتماء لوطن مهين والذود عنه".⁴

وقيل هو: "أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، والتعصب له، أي كانت أصولهم التي ينتمون إليها، وأجناسهم التي انحدروا منها. أي: إن الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس".⁵

الفرع الثاني: الفرق بين الوطنية والمواطنة.

من خلال التعريفات سالف الذكر للوطنية يمكن أن نفرق بين الوطنية والمواطنة، فنقول: إن المعتبر في الوطنية هو المكان التي يعيش فيه الإنسان ويقوم فيه، أما المواطنة شخص له حق الانتماء الاجتماعي والسياسي حتى وإن لم يستقر في ذلك المكان الذي ينتمي إليه.

فالمواطنة: "هي تمتع الشخص بحقوق والتزامه بواجبات، وممارستها في بقعة جغرافية معينة".⁶

والوطنية: هي الإطار الفكري النظري للمواطنة. بمعنى أن الأولى عملية فكرية والأخرى ممارسة عملية. والمواطنة "مفاعلة" أي مشاركة. وقد يكون الإنسان مواطناً بحكم جنسيته أو مكان ولادته أو غيرها من الأسباب، ولكن ليس لديه حب لهذا المكان.⁷

وبين الوطنية والمواطنة علاقة عموم وخصوص وجهي، حيث نجد أن الوطنية أعم من المواطنة من حيث الوصف بمكان السكنى، فلا يمكن أن نصفه بالمواطنة إذا لم يعش ويتزعرع

1 في ظلال القرآن، سيد قطب، 2/ 708.

2 المواطنة واشكاليتها في ظل الدولة الإسلامية، مجلة الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، العدد السابع، سنة 2011 / 70.

3 المصالحة الوطنية منطلقات وأهداف، مجلة جامعة سرت، تصدر عن كلية القانون، 175.

4 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، إعداد مجموعة من المفكرين، 252.

5 مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، 554.

6 مفهوم المواطنة في الإسلام، الباحث عمر سدي مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية، العدد 3، سنة 2020 / 3.

7 المواطنة واشكاليتها في ظل الدولة الإسلامية، مجلة الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، العدد السابع، سنة 2011 / 72.

حتى وإن لم يستمر بالبقاء فيه، والمواطنة أعم من الوطنية في مشاركته في الحكم والانتماء، لأن الوطنية مرتبطة بالمكان الذي نعيش فيه حتى وإن لم نمارس حقوق المشاركة في الحكم.

المطلب الآخر: حقيقة الوطنية ونشأتها.¹

مصطلح الوطنية من المصطلحات حديثة الدوران على الألسن، وجديدة الممارسة والانتشار في المجتمعات الإسلامية؛ لهذا لا يمكن الحكم على هذه الدعوة إلا بالرجوع إلى حقيقتها ونشأتها.

الفرع الأول: حقيقتها.

تشير الدراسة أن ظهور هذا المصطلح والدعوة إليه في المجتمعات العربية الإسلامية في القرن التاسع عشر، واكتمل ظهوره في القرن العشرين.

فهي "دعوة برّاقة وخذعة كبيرة تستثير في النفوس عاطفة حب الوطن في البدايات الأولى، وفي نهايتها يراد بها الانسلاخ من رابطة الدين، والاكتفاء بها في كل وطن له حدود جغرافية، وموالة أهله على حبه بغضّ النظر عن أي اعتبار".²

والوطنية شعار حاول مروجوها توجيهه ولاء أتباعه أو المواطنين في الوطن الواحد لأرض الوطن ذات الحدود المعينة، وشحنهم بالتعصب لها انتماء، وروجوا عبارة (الدين لله والوطن للجميع).³

"فإن القائمين على الحركة الإسلامية أعطوه مسميات أخرى رافضين مجرد ذكر اللفظ، لأنه يعطي إشارات، وإيحاءات غير التي يقصدونها، وربما لأنه استخدم أساساً من قبل قوى غير إسلامية بينها وبين الإسلاميين فواصل من الدم والصراع".⁴

"لقد جاءت الوطنية على غرار خبث القومية، ولم يكن تصدير أوروبا الفكرة الوطنية إلا وسيلة من وسائلهم الكثيرة لغزو العالم كله، وخصوصاً العالم الإسلامية...".⁵

1 مفهوم المواطنة من منظور إسلامي، الباحث: سلطان ابن علي شاهين، جامعة باتنة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، لملتقى السادس فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، 2013/ 27، 28، 29.

2 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، 2/ 972.

3 ينظر بحوث الملتقى السادس، فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، 27.

4 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 273.

5 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، 2/ 976.

ولا نحكم على حقيقة الوطنية إلا بالنظر إلى زعماء هذه الحركة وداعميها، ومن يتعقل في العالم الإسلامي والعربي وينظر بعين ثاقبة؛ ما الغاية من دعم الغرب لهذه الفئات في هذه البلدان.

وقد بين (صالح سرية)¹ قائد تنظيم الفنية العسكرية، والذي كان أول تنظيم سياسي إسلامي في وثيقته²، بذكر حقيقة الوطنية والقومية من خلال تناول زعماء هذه الحركة في العالم الإسلامي.

في تركيا كان زعمائها الاستعمار الغربي بالتعاون مع الماسونية، وفي بلاد العرب نشأت الجامعة الأمريكية في بيروت وكان زعمائها هم النصارى ورؤساء الأحزاب، وتبنى الاستعمار الانجليزي والفرنسي هذه الحركات، وقامت في الأردن والعراق وسوريا الثورات القومية وكان القائد الحقيقي هو (لورانس)³ الإنجليزي المشهور في التاريخ، حيث سار أصحاب هذه الفكرة على خطيين متوازيين وهما.

1_ خط العلماني واضحا لا لبس فيه، وهي عقيدة مخالفة للعقيدة الإسلامية.

2_ الخط الثاني: رأى الكثيرون أن الدين هو أحد مقومات القومية، وهذا في حد ذاته كفر لأن

الدين يرفض أن يكون جزءا من كل بل هو الكل.⁴

و" هي في حقيقتها دعوة لتجزئة أوطان المسلمين، وانطواء كل جزء على نفسه وعدم الاهتمام بغيره من أوطان المسلمين الأخرى".⁵

وخلاصة القول يكفي أن هذا المصطلح ليس من مفاهيم الإسلام فهو فكر بشري بدون النظر إلى منشئه والحكمة من إنشائه ولهذا قيل: "كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل، ولم ينطلق من

1 قائد تنظيم الفنية العسكرية سنة 1974م، الذي كان أول تنظيم سياسي إسلامي.

2 وثيقة رسالة الإيمان، رسالة الإيمان هو كتاب للدكتور صالح سرية في 1973م، اشتمل على دعائم فكره على مقولات تبناها الجهاديون من بعده، وصارت ركيزة لفكر السلفية الجهادية وبنوادر له، المصدر شبكة المعلومات.

3 الكولونيل توماس إدوارد لورنس (16 أغسطس 1888 - 19 مايو 1935) عالم آثار وضابط جيش ودبلوماسي وكاتب بريطاني، اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية (1916-1918) وحملة سيناء وفلسطين (1915-1918) ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى. لقب بـ (لورنس العرب) وهو نفس الاسم الذي استخدم كعنوان لفيلم صدر عام 1962 يحكي عن حياته وكيف ساعد الأمير فيصل في ثورته ضد الدولة العثمانية، المصدر شبكة المعلومات.

4 ينظر إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 275.

5 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، 2/ 973.

مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي، بل هو فكر عام".¹

الفرع الآخر: نشأتها.

"نشأت هذه الفكرة في أوروبا كغيرها من الأفكار الأخرى الكثيرة في رد فعل عارم تجاه أوضاعهم التعيسة التي كانت تقسم الناس إلى فريقين؛ فريق هم السادة والقادة وأصحاب الامتياز، وفريق آخر هم العمال العبيد... فاخترعت الدعوة إلى القومية، ثم إلى الوطنية، ثم إلى الأفكار الأخرى كالحرية والمساواة وحقوق الإنسان... كان إلى جانب هؤلاء المتربصون بالكنيسة ورجالها، وبالحكام الذين يظلمون الناس باسم المسيح، كان إلى جانبهم اليهود الذين كانوا محلّ بغض الاضطهاد الديني النصراني حينما كانت النصرانية قوة متمرة لكل المخالفين لها".²

وفي المشرق العربي نشأت معادية للإسلام، في النصف الثاني من القرن الماضي كانت الدولة العثمانية تمثل في نظر الناس والعالم دولة إسلامية، وقد تعاون الاستعمار الغربي مع التبشير الصليبي (الماسونية)³ على تحطيم الدولة العثمانية وتبني حركة الطورانية⁴، فقام بعض الضباط الأتراك الذين درسوا في الغرب، بتشكيل حزب الاتحاد التركي الذي قام بالانقلاب ضد السلطان.⁵

وفي أوائل القرن العشرين ظهرت الأحزاب التي تتادي بفكرة الوطنية على الطريقة الغربية، مثل حزب الوطني، الذي يزعمه (مصطفى كمال)⁶، وحزب الأمة أو الوطني الحر.⁷

1 تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، 41.

2 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي 2/ 976.

3 هي: منظمة سرية يهودية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، ترتدي قناعاً إنسانياً إصلاحياً، وتهدف من وراء ذلك إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وجلّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يؤثّمهم عهد بحفظ الأسرار،

4 الطورانية أو البانطورانية هي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة، أخذت الحركة اسمها من طوران وهي المنطقة الممتدة ما بين هضبة إيران وبحر قزوين مهد القبائل والشعوب التركية.

5 ينظر إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 274.

6 مصطفى كمال أتاتورك (19 مايو 1881 - 10 نوفمبر 1938)، أول رئيس للجمهورية التركية (1923 - 1938)، وقائد الحركة التركية الوطنية، والقائد العام للجيش التركي خلال حرب الاستقلال التركية، المصدر شبكة المعلومات.

7 ينظر مفهوم المواطنة من منظور إسلامي، الباحث: سلطان ابن علي شاهين، جامعة باتنة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، لملتقى السادس فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر 2013، ف، 28.

أما المجتمعات العربية الإسلامية فقد ظهر في القرن التاسع عشر، واكتمل ظهوره في القرن العشرين. عندما تأثر بعض المفكرين بالاتجاه العالمي نحو فكرة القومية، والثورة الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر التي غرست في النفوس تعاليم الديمقراطية والدعوة إلى الحرية، وأيقظت الشعور القومي، والتغني بمجد الوطن والتضحية في سبيله، حيث أصبحت عقيدة تؤمن بأنهم شعب واحد وتتعصب للوطن والقومية التي تجعلها في حماسة بالغة.

" حتى بداية القرن التاسع عشر وتحديداً قبل مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام 1798 كانت مصر ومعها بلدان العالم العربي، دولا إسلامية من حيث النظم والتقاليد والشرائع،..."¹

وقد تبنت هذه الدعوة جمعية (مصر الفتاة)² في مصر التي نشأت على غرار جمعية (تركيا الفتاة)³، والتي نشأت في تركيا على يد كمالية وهم أصحاب الثقافة الغربية المعادية لفكرة رابطة الإسلام.

فنشأة فكرة الوطنية في ذلك الوقت، كفكرة تحاول جمع الناس للمطالبة بحقوقهم، وحريتهم، ونبد الظلم والاستبداد، ثم تطورت الفكرة على يد الغربيين، وبدأت تهاجم الرابطة الدينية، وتعتبرها مصدر شر، وتفرق بين أبناء الجنس الواحد، ويعتبرونا خطر يهدد وحدة البلاد الإسلامية، وهذه الدعوة ظهرت في كتابات (رفاعة الطهطاوي)⁴ في كتبه منها (تخليص إبريز في تلخيص إبريز)، وكتاب (المرشد الأمين للبنات والبنين)، وظهرت الدعوى إلى القومية في مقدمة كتابه (مناهج المصرية في مناهج الأدب المصرية)، وكما دعا إليها تلميذه وغنى بها الشاعر (صالح مجدي)⁵، وردت كلمات الوطن والوطنية في شعره.⁶

ولهذا كان هذا المصطلح مشهور في كتابات المفكرين العرب، وأول من تناوله في كتاباته (رفاعة) في كتابه مناهج المصرية على أن الوطنية حق فقال: "جميع ما يجب على المسلم يجب

1 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 253.

2 أنشأه أحمد حسين عام 1933 وسمي بجمعية مصر الفتاة بهدف محاربة الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستقلة ونظام الحكم الفاسد، وفي عام 1948 حول الجمعية إلى حزب سياسي.

3 أو الشباب الاتراك، هي حركة إصلاح سياسية في أوائل القرن العشرين أرادت استبدال الملكية المطلقة للسلطنة العثمانية بحكومة دستورية. وقادوا تمرداً ضد الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، المصدر شبكة المعلومات.

4 رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، يتصل نسبه بالحسين السبط: عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث. ولد في طهطا، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة، ينظر الإعلام للزركلي، 29/3.

5 محمد بن صالح بن أحمد بن محمد ابن علي بن أحمد ابن الشريف مجد الدين: باحث، مترجم، له شعر. من أهل مصر، ونشأ نشأة عسكرية، ثم تحول إلى القضاء، وتوفي بالقاهرة، ينظر الإعلام للزركلي، 6/165.

6 ينظر بحوث الملتقى السادس، فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، 28.

على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض، لما نتج من الحقوق الوطنية، فضلا عن الحقوق الدينية...¹.

وأنشأت الجامعة الأمريكية في بيروت التي طرحت زعماء المنطقة فيما بعد لغرض إحياء هذه النعمة الجاهلية، فكان الزعماء ورؤساء الأحزاب من النصاري، وتبنى الاستعمار الإنجليزي والفرنسي هذه الحركة وصرف عليها من الأموال، وحين قامت أول ثورة للقومية العربية (للشريف حسين)²، وكان القائد الحقيقي هو ألويس الإنجليزي المشهور في التاريخ، وأصبح زعماء الثورة هم الزعماء على العراق والأردن وسوريا فيما بعد.³

وقد بلغ هذا التقديس للأوطان على كل الملل والأديان، وأن يضحى بكل ما لديه لوطنه، قال الشاعر (القروي)⁴: بلادك قدسها على كل ملة *** ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم.⁵

1 اتجاهات الفكرية المعاصر علي جريشة، 94.

2 الشريف حسين بن علي بن محمد الهاشمي (1853 - 4 يونيو 1931)، مؤسس المملكة الحجازية الهاشمية، قائد الثورة العربية الكبرى في مطلع القرن العشرين، وأول من نادى باستقلال العرب من حكم الدولة العثمانية. ينتسب إلى الأشراف من بني هاشم ولقب بملك العرب، المصدر شبكة المعلومات.

3 ينظر إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 275.

4 رشيد سليم الخوري (1887م - 1984م)، المعروف بـ "الشاعر القروي" و"شاعر العروبة" وله أخ يدعى قيصر ويعرف باسم الشاعر المدني. ولد الشاعر رشيد في قرية البربارة سنة 1887، من الشعراء العرب في القرن العشرين، المصدر شبكة المعلومات.

5 ينظر، مفهوم المواطنة من منظور إسلامي، الباحث: سلطان ابن علي شاهين، جامعة باتنة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، لملتقى السادس فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر، 2013، ف، 28.

المبحث الثاني: الوطنية والغزو الغربي.**المطلب الأول: أسس الوطنية، وسائلها.****المطلب الآخر: أسباب ظهورها، واتجاهاتها.**

" قد كانت دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي، من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في "غزو العالم الإسلامي"¹.

فالغزو الغربي للأمة الإسلامية في جانب الوطنية قام على أسس، حيث ظهرت هذه الأسس على أنها تدعو إلى الوحدة والمحافظة على الكيان، وأن الخلافة شر وبلاء، وفي مقابل ذلك كانت له أسباب في ظهوره وأغراض في نشر هذه الفكرة في العالم الإسلامي.

المطلب الأول: أسس الوطنية، وسائلها.**الفرع الأول: أسس الوطنية.**

قامت الوطنية على مجموعة من الأسس لنشرها في المجتمع الإسلامي، ولكي تلقى القبول لم تكن هذه الأسس قائمة ولا وجود لها في الواقع من قبل أصحاب الفكرة، لأن المسلمون لم يحتاجوا إلى هذه الأسس، لاستمداد أصولهم من الكتاب والسنة، وبذكر بعض الأسس يتضح وهم هذه الدعوى.

1_ إن الوطنية دعوى جادة تجمع أبناء الوطن الواحد على حب الوطن والتفاني في خدمته والولاء له بغض النظر عن أي اعتبار آخر.²

2_ "تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون".³

3_ دعامة "الأرض والوطن"⁴، كونها المحيط الذي يعيش فيه هذا الكيان، والاعتزاز بها والانتماء إليها.

4_ "التاريخ المشترك"⁵، الذي يربط هذه الجماعات عبر التاريخ.

5_ اللغة، وهي وسيلة التفاهم في هذا الكيان والتبادل بينهم والتعاضد.

1 مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، 577.

2 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، 2 / 974.

3 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني 1 / 548.

4 بناء الأمة بين الإسلام والفكر المعاصر، 70.

5 المرجع نفسه، 70.

6_ وحدة المصالح والأهداف¹، والاشتراك في الحياة.

7_ النظام السياسي الواحد يصلح أساساً لتكوين الأمة.²

الفرع الآخر: وسائل الوطنية.

قام الفكر الغربي ونشر في المجتمعات الإسلامية بعدة وسائل نذكر منها.

1_ أحداث انقلاباً جذرياً في برامج التربية والتعليم، وفرض مناهج تدعو إلى الانتماء للوطن، وتنادي بالقوموية، منها منهج التربية الوطنية كما هو معروف في بلادنا.

2_ وسائل الإعلام على اختلافها، كان لها الدور الكبير في التغني بالأوطان، والبعد عن الدين.

3_ المبعوثون الناقلون للفكر الغربي من أبناء المسلمين، وانبهارهم بالأفكار الغربية، ودعوى الانتماء للوطن.

4_ فرض حكام على هذه الأوطان وزعماً لهذه الأحزاب، من بني جلدتهم أو من هذه الدول ممن نشأ بين أيديهم.

5_ الدعم العسكري لبعض الأحزاب وإنشاء تجمعات تحت اسم جمعيات، وتبني حمايتهم، ورعاية ملتقياتهم.

6_ المؤلفات التي تدعو إلى التغيير وتجديد العلوم والمعارف، وترجمة التشريعات والقوانين الغربية الفرنسية.

7_ الثورات العزابية التي كانت تدعو إلى القومية.

8_ الحركات الإسلامية، وذلك بتغيير و" تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات "سياسية" عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية".³

1 لمرجع نفسه، 73.

2 لمرجع نفسه، 79.

3 مذاهب فكرية معاصرة: محمد بن قطب بن إبراهيم، 578

المطلب الآخر: أسباب ظهورها، واتجاهاتها.

عرفنا مما سبق ذكره أن دعوى الوطنية دخلت إلى الأقاليم الإسلامية بعدة وسائل، كما قامت على عدة أسس، ولكن هناك أسباب ساعدة في تغلغلها، اتجاهات عديدة كانت هي التي دعت إلى نشرها.

الفرع الأول: أسباب ظهور الوطنية.

يرجع تغلغل فكرة الوطنية في البيئة الإسلامية والعربية، وساعدة على نشرها إلى عدة أسباب منها.

1_ تجزئة الوطن الإسلامي الواحد، وجعله أوطانا تفصل بينها الحدود التي تحول دون النقاء الإخوة على غاية واحدة وتحت لواء واحد.

2_ القهر السياسي، وذلك بتسلط المدعوم بالقوة من قبل السلطة السياسية، والحروب الصليبية على المسلمين، مما دفع هذه الأقليات إلى تنادي بحق الوطن.

3_ نهضة أوروبا مع العلمانية، والقومية، وتخلف المنطقة الإسلامية، وبث فكر فصل الدين عن الدولة، مما دفع بعض المفكرين إلى التأسى بالفكر الغربي في كل الأمور.

4_ ابعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة تحت أسماء خادعة رقيقة، مثل: التغريب والتحديث والتغيير الاجتماعي.

5_ التناقض وعدم إدراك الاتجاه الصحيح، وبالأخص ما حدث في مصر، حيث كانوا ينادون بأن مصر للمصريين، ولكنهم في جهة أخرى يقبلون بالتبعية العثمانية.

6_ وجود الغرب المسيحي في شرقنا الإسلامي، وانبهار الغرب بتعاليم الإسلام وعلومه، مما دفعهم إلى دراسة مصادر الإسلامي غزوا هذا الشرق باسم الاستشراق.

7_ وتقطيع أوصال دولة الخلافة الإسلامية، وهو مصدر القوة في ذلك الوقت، ومرجع القيادة.

8_ ظهور حركات الإسلام السياسي في المغرب العربي.

9_ فكرة الخلافة العربية في شبه الجزيرة العربية¹، وكان صاحب الفكرة: (جمال الدين الأفغاني)، وأيده (محمد عبده) في هذا المشروع.

1 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 275. 263

9_ الأُسس التي قامت عليها الوطنية كانت لها الدور الكبير في نشرها.

الفرع الآخر: اتجاهات الوطنية.

"ما رسم له أعداء الإسلام من قبل، حين عقدوا أكثر من مؤتمر للنظر في المسألة الشرقية، وقد كانت في البداية تعني رد الزحف الإسلامي الذي كانت تقوده تركيا على أوروبا، ثم لما توقف المد، انتقل البحث إلى كيفية تقطيع أوصال الخلافة، ثم القضاء على الخلافة بعد ذلك".¹ ثم جاءت الاطماع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي وما يكيد الأعداء للمسلمين من عداوة وروح الانتقام، ويمكن تلخص هذه الاتجاهات في خمسة نقاط أو اتجاهات هي: الاتجاه الديني، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، الانتقالي.

1_ الاتجاه الديني: "لم يكن تصدير أوروبا الفكرة الوطنية إلا وسيلة من وسائلهم الكثيرة لغزو العالم كله، وخصوصاً العالم الإسلامي، وتشتيته وتمزيق وحدته؛ ليسهل عليهم إذلال تلك الشعوب حينما تنقطع فيما بينهم روابط العقيدة، وتحل محلها روابط الجاهلية من قومية ووطنية شعبية، ويصبحون فريسة الأفكار الخادعة، ويتخلون عن مصدر عزهم وقوتهم في الإسلام، وقد عرفوا أن إحلال الوطنية محلّ الجهاد الإسلامي بخصوصه هو أقرب الطرق إلى تشرذم المسلمين...."²

فكان ظهورها في بلاد المسلمين بأسلوب الصور المستعارة، إنما كان بدسائس اليهود والنصارى وسائر الدول الغربية الحاقدة.

حيث إن أساسها إبعاد الدين الإسلامي عن معتك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية والتشريعية، فإنها تعد ردة إلى الجاهلية، وضرباً من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامية.³

و"يهدف إلى اقتلاع العقيدة من قلوب المسلمين، وتحويلهم عن صراط الله المستقيم إلى سبل الشيطان".⁴

ومنها أنها تدعو إلى " تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون".¹

1 أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، 46.

2 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، 2 / 976.

3 ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 1 / 446.

4 مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، 576.

ومنها أنها تتبنى شعار: الدين لله والوطن للجميع، وهذا مخالف لأصل من أصول العقيدة الإسلامية.

ومنها أنهم يقولون: "أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة".²

ويكفي في هذا الاتجاه "إن الوطنية لم تقم على تقوى الله تعالى ولا على الخوف منه _ عز وجل _ أو الحب فيه، وإنما قامت على نزغات الشيطان، والشيطان يهدم ولا يصلح، ويفرق القلوب ولا يجمعها..."³

2_ الاتجاه الجانب السياسي: "منذ أتيح للغرب الصليبي أن يتسلط على الشرق الإسلامي، أخذ يحدث التغيير السياسي اللازم لبقاء سيطرته أولاً، ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانياً".⁴

قسمت الدولة الإسلامية دويلات واحتلت من قبل بريطانيا وفرنسا، كان هذا الاحتلال بداية ظهور هذا الحركات.

وبعدها أصبح المواطن النصراني أو اليهودي أو العلماني أو الشيوعي حتى وإن لم يكن من أهل ذلك البلد في الأساس فإن من حقه كمواطن أن يصل إلى أعلى الرتب التي يتمكن من خلالها من التحكم في مصائر أهل تلك الشعوب الإسلامية... وهو نتيجة لتمكن أولئك من السلطة، أصبح هؤلاء ينادون بأن الوطن والعيش فيه هو في الدرجة الأولى لهم، وصاروا ينظرون إلى أهل تلك الأوطان الإسلامية بأنهم غرباء، وأحياناً يسمونهم عملاء، وبالتالي فمن حقهم أن يضطهدوهم.⁵

وبهذا يتضح أن دعوى الوطنية ما هي إلا لعبة سياسة مأكرة ودعوى يراد من ورائها مكاسب سياسية وعقدية.

وبالنظر إلى أكثر اتجاه خدم عليه الغرب باسم الوطنية، وكان له الأثر البارز هو الاتجاه الديني لأنه الأساس في جمع كلمة المسلمين والداعم لهم، ثم يأتي بعده الجانب السياسي واطماع الزعامة والحكم.

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 1/ 446.

2 المرجع نفسه 447.

3 المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف الإسلام منها/ 2/ 979.

4 أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، 45.

5 ينظر المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، 2/ 986.

3_الاتجاه الاقتصادي: حيث كان التوجه الاقتصادي بارز في نواي الغرب في بث سمومها ومنها الوطنية، فكان العالم الإسلامي يتمتع بكثير من الخيرات التي كانت أطماع الغرب، منها الموقع الجغرافي، كونها ممر للقوافل التجارية، وتمتعها بالثروات المائية، والمناخ الملائم، فقسمت هذه الأقاليم الإسلامية إلى دويلات بدعوى الوطنية ليستفاد الغرب وليسهل احتلالها.

4_الاتجاه الاجتماعي: فقد كان أبرزها في ادخال الحركة الوطنية في العالم الإسلامي، وكان أقل مقابل بالنظر إلى غيرها من الجوانب، فدرسوا المجتمعات الإسلامية ورأوا تغير القيم والأخلاق تحت مسمى التغريب والاستشراق.

والتغيير الاجتماعي يعني: "تغيير قيم الأمة ومثلها؛ تغيير ثقافتها، وأخلاقها، وعقيدتها، وبعبارة واضحة: إبعاد المسلمين عن دينهم، والتغيير الاجتماعي قد يسمى التغريب، وقد يسمونه المدنية، أو التطوير، أو التقدم، وأياً ما كانت الحال.."¹

5_الاتجاه الانتقائي: فالمشهور عبر التاريخ الإسلام الحافل بالانتصارات والفتوحات الإسلامية، والتمدد الإسلامي في العالم، وما فرضه المسلمين على هذه الدولة الصليبية، من خراج وجزية وضرائب، وتبعية للدولة الإسلامية، كان من المتوقع ردت فعل من هذه الدول تكون أشد منها، ومن أبرز المسالك التي سلكها الغرب تفتيت العالم الإسلامي، تحت مسمى الوطنية والقومية؛ ليسهل القضاء عليه.

1 أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، 56.

المبحث الثالث: الوطنية في ميزان الإسلام.

المطلب الأول: تصحيح مفهوم الوطنية في الإسلام.

المطلب الثاني: أثرها في المجتمع الإسلام وسبل علاجها.

المطلب الأول: تصحيح مفهوم الوطنية في الإسلام.

الفرع الأول: الوطنية في ميزان الكتاب والسنة: مما سبق ذكره أن ممارسة فكرة الوطنية لم تكن معروفة عند المسلمين، وهي من المسائل التي تحتاج إلى فكر وتحليل لمسائلها وحقيقتها وغايتها، لأنها لم يرد فيها نص صريح واضح يبين حكمها في الإسلام، فهي إن صح القول من القضايا الفكرية الدخيلة على الإسلام.

ولو تأملنا في مصادر الدين الإسلامي نجدنا اتسمت بسمتين الثبات والمرونة، حيث نجد سمة الثبات في القضايا الكلية المتصلة بأصول الدين، وكونها ثابتة لا تقبل التغيير والتجديد، والسمة الثانية المرونة؛ حيث نجد قضايا ونوازل معاصرة لم يرد فيها حكم صريح، لهذا كان الواجب علينا من وضعها في ميزان الشرع، واستنباط حكم الشارع فيها، وهذا يحتاج إلى أعمال العقل والتفكير.

ومن المعلوم أن الشارع لم يهمل العقل بل رفع من مكانته، وجعله مناط التكليف، بل قرن شهادة أولوا العلم بشهادة الملائكة على وحدانيته سبحانه وتعالى.

"وهذا الواقع القرآني بجانبه السنة النبوية الشريفة، دفع العلماء الإسلام إلى أعمال فكرهم في مجالين هما: أولهما: في مجال الاجتهاد تفسير قضايا التي لم تقرر بنصوص قاطعة، لا في الكتاب ولا في السنة، وثانيهما: في مجال الاجتهاد في القضايا والمسائل لم يتطرقا إليه البتة".¹

وقضية الوطنية من القضايا التي تدخل تحت المجال الثاني، فكان من لابد من استكشاف حقيقتها من الأصول الإسلامية والفكر الإسلامي السليم، لأنها فكر بشري يجب أن يوزن بميزان الشرع.

وبالنظر إلى فكرة الوطنية " بمعنى الانتماء لوطن معين والذود عنه، لا تناقض مع الإسلامية إذا ما بنيت على أساس عقائدي صحيح يأخذ من الانتماء إلى الإسلام بناءه الكلي ودائرته الأشمل التي تجيز بل تفرض في أغلب الأحيان_ الانتماء إلى الوطن (بمعنى الأرض)، أو إلى القوم (القومية)، نقول: أنها يجوز بل يرقى إلى مستوى الفرض في الإسلام؛ إذا ما بني على

1 التجديد في الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، 47.

أساس عقائدي ورسالي صحيح، وليس علمانيا _ كما كان ومازال _ سائدا في بعض المشاريع الوطنية، والقومية، على المستوى العربي...¹

وفي التاريخ الإسلامي عندما هاجر النبي _ صلى الله عليه وسلم _ إلى المدينة، وجد فيها عقائد مختلفة، وقبائل شتى؛ من يهود وعرب مشركين، ومسلمين، وهي تركيبة جديدة ومختلفة تماما على ما كان عليه في مكة، أراد الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعاون والمشاركة، فوضع دستور مكتوب وهو (وثيقة المدينة)، الذي حدد فيه السياسة الداخلية للدولة الجديدة، والذي لا يفرق بين مواطنيها، واعتمد في الوثيقة مبدأ المواطنة، ومنها: الإسلام فوق القبيلة، تقرير مبدأ التعاون والتكافل بينهم، موالاة المؤمنين ونصرتهم، الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله _ صلى الله عليه وسلم _.²

فكان أول منهج صحيح يمارس مبدأ المواطنة تحت رعاية الإسلام وبفكر نبي هذه الأمة، المبني على الولاء لله والمعتمد على كتاب الله وسنة رسوله _ صلى الله عليه وسلم _.

أما إذا كانت هذه الفكرة قائمة على فكرة الولاء التامة للوطن، وشعارها (الدين لله والوطن للشعب) فهذا مخالف لأصل الدين.

ومما حذرنا منه الشارع الذي هو غاية هذه الفكرة هو: عدم التفرق والتعصب لحزب أو مذهب أو طائفة أو فرقة، قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا).³

ونهي الرسول الكريم _ صلى الله عليه وسلم _ عن القبلية والعصبية، ووصفها بأنها دعوى جاهلية فقال _ صلى الله عليه وسلم _: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)⁴، فالوطنية والعصبية من دعوى الجاهلية كما وصفها النبي _ صلى الله عليه وسلم _ إذا لاتسمت بدعوى الجاهلية المخالفة للشرع.

بل بني الإسلام على أسس ودعائم إذا تمسك بها المرء عاش في هناء وسعادة، ومنها (الناس جميعا أمة واحدة)، فالتفرقة والتنشيع ليس الأصل، بل الأصل هو الاجتماع، وقد صرح القرآن في

1 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 252.

2 ينظر المواطنة من خلال وثيقة المدينة، الدكتورة: أم نايل بركاني، منشور كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة بالجزائر، الملتنقى الدولي السادس سنة، 2013، 377.

3 سرّة آل عمران 103.

4 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (ليس منا من شق الجيوب)، رقم 1232، 1/ 435 من حديث عبدالله بن عمر.

العديد من الآيات بأهمية هذا الأصل، قال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)¹، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)²، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)³.

ولقد جاء الإسلام فحارب العصبية القومية و الإقليمية، ليكون العدل هو السائد، ولتكون المودة بين الناس، وفي كل مكان المعمورة، وأنه ليس من الإيمان أن يتعصب المؤمن لقومه أو وطنه تعصب يؤدي إلى الظلم، وأن ينصر الرجل قومه وهم ظالمون، ويناصر أهل وطنه على ظلم الآخرين، والتمكن في حريتهم وتطبيقها، فالعصبية والوطنية منهي عنها بحكم الإسلام.⁴

يقول ابن تيمية⁵: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من غراء الجاهلية"⁶.

وكذلك إذا نظرنا لزعمائها وقادة فكرة الوطنية في العالم الإسلامي إما مسلما انبعث للدراسة في الدول الغربية وأخذ هذه الفكرة من الغرب مثل: (رفاعة الطهطاوي وطه حسين)⁷ في مصر، (وكمال أتاتورك) بتركيا، مع وجود الجمعيات العربية والأحزاب المدعومة من هذه الدول الغربية، أو من المستغربين كان همهم إضعاف المسلمين، والشارع الحكيم ينهانا عن اتخاذهم أولياء، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)⁸.

1 سورة البقرة الآية 213.

2 سورة النساء الآية 1.

3 سورة الحجرات، الآية 13

4 ينظر العلاقة الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، 24.

5 أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني المشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، ينظر الأعلام للزركلي، 1/144.

ولد في شعبان سنة إثنيتين وأربعين وخمسمائة

6 موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1/29.

7 طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي. ولد في قرية (الكيلو) وأصيب بالجذري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر، ينظر الأعلام للزركلي، 3/231.

8 سورة المائدة 51.

"... فقد كان مسلمون يتولون اليهود في حزب الاتحاد والترقي¹، ومسلمون آخرون يتولون النصرى في الجمعيات السرية القائمة باسم العروبة والقومية العربية، ومسلمون آخرون يتولون "لورنس العرب" ويتبعونه وهو يدعوهم إلى قتال دولة الخلافة التي ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون"².

إذا كان منطلق الوطنية تدعو إلى هذه الدعوات وتسير نحو طريق هذه الأوهام فهي: مخالفة للشرع وللفطرة السليمة.

الفرع الآخر: الوطنية في منظور الفكر الإسلامي المعاصر.

من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي، وبالأخص الحركات الإسلامية في مصر، فكانت اتجاهاتهم لفكرة الوطنية مختلفة، وتجهوا إلى ثلاثة مسالك.

الفريق الأول: أخذ فكرة الوطنية على مصرعيها، وأنه ليس هناك تناقض مع الإسلام، وكانت رؤيتهم للوطنية مواكبة للتغير والرقي الثقافي وتأثروا بالغرب مثال: حسن العطار³، ورفاعة الطهطاوي.

حيث تعرض (الطهطاوي) لها من خلال تأكيده أن الوطنية لا تتنافى مع الإطار الإسلامي والفهم الصحيح للإسلام، وبين ذلك في مؤلفاته: (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، و(منهاج الالباب المصرية من منهاج الآراء العصرية)⁴.

الفريق الثاني: رفض هذه الفكرة، وأن هناك تناقض بينها وبين الدين الإسلامي، ورأى أنها امتداد للعلمانية والماسونية، وأنها مخالفة لأصول الدين، من أمثال: سيد قطب، وصالح سرية، وشكري أحمد مصطفى، ومحمد عبدالسلام فرج، وعبود الزمر.

فكان السبق (لسيد قطب) برفض فكرة الوطنية كلية، سواء كان هذا المفهوم قائماً على أساس إسلامي أو علماني، فهو يرى سوى العقيدة كوطن، وكانتماء، ويؤكد سيادة الشريعة الإلهية، والانتماء إلى الحاكمية العليا: الله¹.

1 جمعية الاتحاد والترقي بالتركية العثمانية: إتحاد وترقي جمعيتي، التي أصبحت بعدها حزب الاتحاد والترقي بالتركية العثمانية. - إتحاد وترقي فرقه سي: هي منظمة ثورية سرية تأسست باسم جمعية الاتحاد العثماني بالتركي في إسطنبول يوم 6 فبراير 1889.

2 مذاهب فكرية معاصرة: محمد بن قطب بن إبراهيم، 583.

3 حسن بن محمد بن محمود العطار: من علماء مصر. أصله من المغرب، ومولده ووفاته في القاهرة. أقام زمناً في دمشق، وسكن اشكودرة (بألبانيا)، وعاد إلى مصر، فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ينظر الأعلام، 2/ 222.

4 ينظر إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 251.

ويذهب الدكتور: (صالح سرية)، أن الدولة لا تكون إسلامية إذا كانت تنص في دساتيرها على أنها دولة وطنية، فهو يرفض فكرة الوطنية والقومية والاشتراكية، ويرى أنها جميعاً مفاهيم تخالف أصول الإسلام وعالميته.²

وينفى (شكري أحمد مصطفى) جميع مفاهيم الانتماء، والانتماء عنده هو لجماعة المسلمين التي تعيش بمعزل عن باقي المجتمعات لأن في مجملها كافرة، وان هذه المفاهيم للوطنية مجرد شعاران ماسونية وضعت في ثياب الإسلام.³

ويرى (محمد عبدالسلام فرج) أن الإسلام لم يعرف الوطنية، وليس لديه سوى (دار للإسلام) و (دار للحرب)، وأن الانتماء الحقيقي يكون إلى الأولى، ومن أجل تحقيق هذا الانتماء لا بد من إقامة الدولة الإسلامية.⁴

وفي نظر (عبود الزمر) وهو أحد أمراء جماعة الجهاد، لا تعرف الحركة شيئاً اسمه الوطنية، ولا تنتمي إلا إلى الإسلام، ويصف الوحدة العربية بالوهم.⁵

الفريق الثالث: توسط بين الفريقين، ورأى أنه لا أشكال في فكرة الوطنية إذا كانت تحت مظلة الشرع، وبحثوا على اجتهادات وتأويلات ودخلوا في فلسفات لتقريب هذه الفكرة للإسلام، من أمثال: محمد عبده⁶، والأفغاني⁷، والكواكبي، والبنا⁸.

فوجد (حسن البنا) كان له رؤيتان لهذه الفكرة، الأولى: الاستخدام السياسي للمفهوم في إطار الحركة الوطنية ضد الاستعمار ولتحقيق الاستقلال، ويعتبرها جزءاً من تعاليم الإسلام، الأخرى:

1 ينظر المرجع نفسه 269.

2 ينظر المرجع نفسه 276.

3 ينظر المرجع نفسه 277.

4 ينظر المرجع نفسه 279.

5 ينظر المرجع نفسه 281.

6 محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام،، الأعلام 6/ 253.

7 محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفاضل الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، الأعلام، 6/ 156.

8 حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنضم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية)، الأعلام، 2/ 183.

يرفض المضمون العلماني للوطنية لأنه يتصل بالبنية الأساسية لمفهوم الدولة، ويؤكد أن العقيدة الإسلامية تعتبر الأرض كلها وطنًا واحدًا.¹

المطلب الآخر: أثرها على المجتمع الإسلام وسبل علاجها.

الفرع الأول: أثر الوطنية على المجتمع الإسلامي.

بعد دراستنا لفكرة الوطنية وعلاقتها بالغزو الغربي، والأسس التي قامت عليها هذه الفكرة والأسباب، لم يبق هناك استغراب أو نفي أي أثر لهذه الفكرة في المجتمع الإسلامي، ناهيك عن أن المستهدف هو الإنسان المسلم من جميع جوانبه الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مع العلم إن صح القول_ التطور العلمي والتقدم الذي وصله إليه الغرب بسبب الجمود والتقليد الذي أصاب العالم الإسلامي، ونختصر هذه الآثار التي حلت بالبيئة الإسلامية من هذه الدعوى في مجموعة من النقاط هي:

1_ اختراع طقوس وشعارات وأعياد ليس لها أصل في الدين، يتبادل فيها الناس التهاني والتبريكات، وتتعطل كثير من المصالح.

2_ اعتبارها دافع من دوافع القتال، ودعوى إلى أن يقدموا دماءهم رخيصة من أجل تراب الوطن بدلاً عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

3_ اقصاء الشريعة الإسلامية عن مجالات الحياة، بالتحاكم إلى القانون الوضعي، ورفض كتاب الله وسنة رسوله_ صلى الله عليه وسلم_.

4_ نشر الفكر العلماني في التعليم، وفرض مواد تدعو إلى التغني بالوطنية، وتزوير التاريخ الإسلامي لخدمة الفكر الغربي.

5_ ضعف الأقطار الإسلامية؛ ليسهل احتلالها، من خلال زرع فكرة الانتماء الوطني التي تدعو إلى حمل شعارات الأرض للوطن.

الفرع الآخر: سبل علاجها.

بعد ذكر بعض الآثار التي أصابت المجتمع المسلم من الفكر الوطنية، نذكر بعض سبل علاج هذا الداء الذي أصاب الفكر الإسلامي.

1 ينظر إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، 265.

- 1_ يجب على كافة الدعاة وطلاب العلم أن يجتهدوا في محاربتها، وبيان ما تحمله من تدمير للإسلام والمسلمين، وبيان أن الإسلام دين كامل إلى يوم القيامة، وأن الخير والسعادة للبشرية تكمن في الانضواء تحته وتطبيق تعاليمه.¹
- 2_ التمسك والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله_ صلى الله عليه وسلم_، وبيان مكانتهما وصلاحهما لكل زمان ومكان، وأن رفعة المسلمين بتمسكهم بكتاب الله والعمل بسنته صلى الله عليه وسلم.
- 3_ "القضاء على النزعات الجاهلية_ الوطنية والقومية والقبلية_ التي تريدنا أن نثار للعرب لكونهم عربا فقط ولو كانوا يحاربون الله ورسوله وجماعة المؤمنين...".²
- 4_ تقنين "التفاعل مع الحضاري مع الحضارة الغربية، القائم على التمييز والتمحيص والمدارسة، وبالتالي اقتباس النافع فيها، ورفض الضار منها الذي لا يتناسب مع خصوصيتنا الفكرية وهويتنا الحضارية".³

1 ينظر المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، 2 / 989.

2 التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، 92.

3 الشيخ عبدالحميد بن باديس السلفية والتجديد، محمد الدراجي، 229.

النتائج

- خلاصة الدراسة يمكن اختصارها في نقاط منها.
- 1_ تشير الدراسة أن ظهور مصطلح الوطنية كفكرة في المجتمعات العربية الإسلامية في القرن التاسع عشر، واكتمل ظهوره في القرن العشرين.
 - 2_ جاءت الوطنية على غرار خبث القومية، ولم يكن تصدير أوروبا الفكرة الوطنية إلا وسيلة من وسائلهم الكثيرة لغزو العالم كله، وخصوصاً العالم الإسلامية.
 - 3_ قامت الوطنية على أسس، تدعو إلى الوحدة والمحافظة على الكيان، وأن الخلافة شر وبلاء ليسهل نشرها في المجتمع الإسلامي.
 - 4_ من أهداف الوطنية الغربية تجزئة الوطن الإسلامي الواحد ولجعله أوطانا تفصل بينها الحدود التي تحول دون النقاء الإخوة على غاية واحدة وتحت لواء واحد.
 - 5_ تهدف الوطنية الغربية إلى ابعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة تحت أسماء خادعة رقيقة، مثل: التغريب والتحديث والتغيير الاجتماعي.
 - 6_ لا تتناقض مع الإسلام إذا ما بنيت على أساس عقائدي صحيح يأخذ من الانتماء إلى الإسلام بناءه الكلي
 - 7_ اختلف وجهة نظر المفكرين المسلمين للوطنية، وتباينت آراءهم.

التوصيات

- 1_ على الخطباء والدعاة القيام بواجبهم، والدعوة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- 2_ المحافظة على تدريس التاريخ الإسلامي الصحيح من مصاره الموثقة، والمواد الشرعية في جميع مراحل التعليم.
- 3_ إلزام الحاكم والقضاة إلى التحاكم لكتاب الله ورسوله.
- 4_ تقويم النشأ وبيان حقيقة الغزو الثقافي وآثاره على الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1_ أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه _ محمد شريف الزبيق، الطبعة: الثالثة، 1399هـ-1979م، الناشر: دار الوفاء.
- 2 إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، مجموعة من البحوث، منهم محمد عمارة، رضوان السيد، إبراهيم بشير الغويل، محمود البطل، محمد السعدي، صلاح الدين الجورشي...، الطبعة الأولى، منشورات مركز دراسات العلم الإسلامي.
- _الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الطبعة: الخامسة عشر أيار / مايو 2002 م، الناشر: دار العلم للملايين.
- 3_ بناء الأمة بين الإسلام والفكر المعاصر، فاروق حمادة، الطبعة الأولى، سنة 1406_ 1986، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- 4_ تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، الطبعة الأولى، سنة 1416، 1996، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامية.
- 5_ التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1982م، الناشر: مكتبة المنار الأردن الزرقاء.
- 6 _ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) سنة النشر: 1984 هـ، الناشر : الدار التونسية للنشر تونس.
- 5_ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بيروت.
- 6_ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)
- المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، 2001م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 7_ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت.
- 8_ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 9 _ الشيخ عبدالحميد بن باديس السلفية والتجديد، محمد الدراجي،
- 10_ شرح الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.

- 11_ صحيح البخاري البخاري في صحيحه،
- 12_ طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، سنة النشر 1417هـ - 1997م، الناشر مكتبة العلوم والحكم
- 13_ لطبقات المفسرين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علي محمد عمر، الطبعة الأولى ، 1396، الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة.
- 14_ ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الطبعة: السابعة عشر 1412 هـ، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة.
- 15_ العلاقات الدولية في الإسلام، الإمام محمد أبو زهرة، 1415_ 1995، الناشر دار الفكر العربي.
- 16_ فقه المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر جامعة باتنة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، لملتقى السادس 2013.
- 17_ مذاهب فكرية معاصر، محمد بن قطب بن إبراهيم، : الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م الناشر: دار الشروق.
- 18_ المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، د. غالب بن علي عواجي، الطبعة: الأولى 1427هـ-2006م، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة.
- 19_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى 1422 هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- 20_ المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
- 21_ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: 1423 هـ = 2002م.، الناشر: اتحاد الكتاب العرب.
- 22_ مفهوم المواطنة في الإسلام، الباحث عمر سدي مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية،، العدد 3، سنة 2020.
- 23_ المواطنة واشكالياتها في ظل الدولة الإسلامية، مجلة الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، العدد السابع، سنة 2011.
- 24_ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة: الرابعة، 1420 هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.